مجلة الدراسات الإسلامية - جامعة كابل
Journal of Islamic Studies - Kabul University
رقم تسجيل المجلة: RCTD GIJR - 0015-25 الرقم الدولي: e-ISSN: 3078-6355

JIS Journal Of Islamic Studies Kabul University e-ISSN:3078-6355

https://doi.org/١٠,٦٢٨١٠/jis.v٢i١,٢٠١

كتاب الزيادات للإمام محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله دراسة فقهية تحليلية

الملخص: كتاب الزيادات للإمام محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله (ت ١٨٩هـ) من الكتب المهمة، إذ جاء مكمِّلًا لكتابه الجامع الكبير، ومؤسِّسًا لنموذج فريد في التدوين الفقهي القائم على الدقة والاختصار والفقه التقديري، الكتاب جزء من سلسلة "ظاهر الرواية" التي تشكل أساس الفقه الحنفي، تهدف هذه الدراسة إلى إبراز القيمة العلمية للكتاب وبيان مكانته ضمن مصنفات ظاهر الرواية، مع تقديم تعريف حاو لهذه المجموعة وبيان خصوصية كتاب الزيادات بينها، وبيان علاقة هذا الكتاب بسائر كتب ظاهر الرواية. كما تشمل هذه الدراسة المنهج الفقهي للإمام الشيباني من خلال تحليل طريقة ترتيبه للكتاب، وأسلوبه في عرض المسائل، مع تتبع النسخ والمخطوطات المتداولة وموضوعاته الرئيسة. ثم تستعرض الخدمات العلمية التي قُدمت للكتاب عبر العصور، من ترتيب واختصارات وشروح وتعليقات، وصولًا إلى الجهود المعاصرة في تحقيق بعض شروحه، وبخاصة شرح قاضي خان. وتختتم الدراسة هذه بجملة من النتائج والتوصيات التي تؤكد قيمة هذا التراث وأهمية إعادة خدمته بما يتناسب مع مكانته في الفقه الحنفي.

الكلمات المفتاحية: الإمام الشيباني، الزيادات، الشروح الفقهية، ظاهر الرواية، الفقه الحنفي

الباحث:

الشيخ عبد الباسط چرخي، الأستاذ المشارك بقسم الإفتاء والقضاء، جامعة عبدالله بن مسعود كابل– أفغانستان.

الايميل: abulbasitraghib@gmail.com

تاريخ المادة:

تاريخ الإرسال : (١٥ صفر ١٤٤٧)

تاريخ الإصلاح: (٢٨ صفر ١٤٤٧)

تاريخ القبول: (٠٦ ربيع الأول ١٤٤٧)

تاريخ النشر: (٣٠ ربيع الأول ١٤٤٧)

The Book of 'Al-Ziyadat' by Imam Muhammad ibn Al-Hasan Al-Shaybani: A Jurisprudential Analytical Study

ABSTRACT: Al-Ziyādāt by Imām Muḥammad ibn al-Ḥasan al-Shaybānī (d. ١٨٩ AH) is one of the most significant works in Ḥanafī jurisprudence. It was composed as a complement to his al-Jāmiʿ al-Kabīr and established a unique model of legal writing characterized by precision, conciseness, and the use of hypothetical jurisprudence. As part of the Ẓāhir al-Riwāyah corpus, which forms the foundational reference of Ḥanafī fiqh, this study seeks to highlight the scholarly value of al-Ziyādāt and its status among the works of Ẓāhir al-Riwāyah. It also provides an overview of this corpus, clarifying the distinct features of al-Ziyādāt and its relationship with other works of the collection. Furthermore, the study explores al-Shaybānī's juristic methodology through an analysis of the book's arrangement and his style of presenting legal issues, along with an examination of the extant manuscripts and their principal topics. The research also reviews the scholarly services rendered to the book throughout history—such as abridgments, rearrangements, commentaries, and marginal notes—culminating in modern efforts to edit and publish some of its commentaries, particularly that of Qāḍī Khān. The study concludes with a set of findings and recommendations that underscore the value of this heritage and the necessity of re-examining and serving it in a manner befitting its stature within Ḥanafī jurisprudence.

Keywords: Al-Ziyādāt, Imām al-Shaybānī, Ḥanafī jurisprudence, Ẓāhir al-Riwāyah, legal commentaries.

المقدمة:

الحمد لله الذي من علينا بالزيادات، والصلاة والسلام على سيد أصحاب الرسالات، و على آله و صحبه ذوي المقامات العاليات، وبعد:

فإن الفقه الإسلامي هو نتاج جهود كبيرة مارسها الأئمة وعلماء المذاهب على مر العصور، وقد طور هذا التراثُ الفقهي في مدارس علمية منهجية، أبرزها المذاهب الأربعة: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية، التي لقيت بالقبول والانتشار، ويُعَدّ المذهب الحنفي أوسع هذه المذاهب انتشارًا وأقدمها عراقة، إذ ارتبط بالإمام أبي حنيفة النعمان وتلاميذه الكبار، وفي مقدمتهم الإمام محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ)، الذي نقل المذهب إلى آفاق التدوين والتأصيل من خلال مؤلفاته الكبرى. ومن بين هذه المؤلفات يبرز كتاب الزيادات، الذي يُعَدّ جزءًا أصيلًا من كتب ظاهر الرواية، ويمثل لبنة أساسية في البناء الفقهي الحنفي، إذ جمع بين دقة العبارة وغزارة الفروع وعمق النظر، فكان مرجعًا رئيسيًا لفهم منهج الإمام الشيباني، ودراسة تطور المدرسة الحنفية في مجال التأليف الفقهي.

أهمية الدراسة:

أهمية الدراسة تنعكس في جوانب عديدة، فهي تسلط الضوء على أحد الكتب الأساسية في المذهب الحنفي، وتكشف عن المنهجية الدقيقة التي أتبعها الإمام الشيباني في عرض المسائل، وتبرز القيمة العملية لكتاب الزيادات في الفقه الحنفي، كما أنها تضيف معرفة جديدة في مجال الدراسات الفقهية، وتحقق جزء من التراث الفقهي الإسلامي، وتبرز دور علماء المذهب في تطوير الفقه الحنفي.

أسئلة الدراسة

في هذه الدراسة نطرح الأسئلة التالية ونحاول أن نصل إلى إجاباتها:

١. ما هو ظاهر الرواية و كم عدد كتب التي تندرج تحتها؟
٢. هل يُعد كتاب "الزيادات "من كتب ظاهر الرواية أم من كتب النوادر؟
٣. ما سبب تأليف كتاب "الزيادات"
٤. ما هو منهج الإمام الشيباني في عرض المسائل الفقهية ضمن هذا الكتاب؟
٥. ما هي أهم شروح كتاب "الزيادات"

أهداف الدراسة:

من هنا، تأتي هذه الدراسة التحقيقية لكتاب "الزيادات"، ساعيةً إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. التعريف بظاهر الرواية و الكتب التي تندرج تحتها.
٢. دراسة أسباب تأليف الكتاب وأهميته في الفقه الحنفي.
٣. تحليل منهج الإمام الشيباني في كتاب "الزيادات".
٤. استعراض الشروح التي كتبت على الكتاب وتحليلها.

٥. تقديم توصيات للباحثين في مجال الفقه الحنفي للاستفادة من الكتاب.

الدراسات السابقة:

بعد ما بحثت ونقبت عن دراسات كتبت حول كتاب الزيادات، وجدت أن الدراسات التي تناولت كتاب الزيادات بشكل كامل وشامل قليلة جدا، معظم ما كتب عنه كان ضمن بحوث عامة عن كتب ظاهر الرواية ، لم تخصص له دراسات مستقلة تظهر قيمته العلمية ومكانته في الفقه للمذهب الحنفي.

فقد أشار ابن عابدين – رحمه الله – في كتابه "رسم المفتي" و"رد المحتار" إلى تصنيف كتب ظاهر الرواية، معدِّدًا كتاب الزيادات منها، دون أن يُفصّل القول في مضمونه ومنهجه. كما تناول الإمام الكوثري – رحمه الله – في بعض كتبه الحديث عن هذا الكتاب، مؤكِّدًا أهميته، ومشيرًا إلى اعتماده من قبل أئمة المذهب، ومثله صنع الشيخ أبو الوفاء الأفغاني في مقدماته النقدية والتحقيقية.

وفي العصر الحديث، أورد الدكتور قاسم أشرف نور أحمد إشارات موجزة إلى الكتاب في مقدمة تحقيقه لشرح الزيادات لقاضي خان، غير أنَّ ما ذكره لا يرقى إلى مرتبة الدراسة المستقلة بل يعتبر كتقدمة للتحقيق. وقد تفرّق ذكر الكتاب أيضًا في كتب المتقدّمين، كالعناية للبابرتي، وكشف الظنون لحاجي خليفة، وكشف اصطلاحات الفنون للتهانوي، وغيرها.

ومن المعالجات القريبة في هذا السياق، بحث لمفتي محمد تقي العثماني في كتابه "أصول الإفتاء" وكذا بحثٌ للدكتور لؤي عبد الرؤوف الخليلي في كتابه "أسباب عدول الحنفية عن الفتيا بظاهر الرواية"، تضمَّن إشارات إلى الكتاب بوصفه أحد مصادر الظاهر. غير أنّ هذه المعالجة كذلك لم تتناول الزيادات من حيثُ هو، بل من حيث اندراجه ضمن كتب ظاهر الرواية فقط.

وهكذا يتبيّن أنَّ الحاجة ماسَّة إلى دراسة علميَّة تخصّ هذا الكتاب بالتحليل والتمحيص، وتكشف عن مكانته الحقيقيّة ضمن تأسيس وتأصيل الفقهي الحنفي، وتُسهم في إحياء الاهتمام بكتب ظاهر الرواية.

منهج البحث:

جاءت هذه الدراسة إلى بيان خصائص المنهج الذي سلكه الإمام محمد بن الحسن الشيباني في كتابه الزيادات، وفهم طريقته في عرض المسائل الفقهية ومعالجتها، وذلك من خلال اعتماد المنهج التحليلي الوصفي، الذي يجمع بين التأمل في النصوص وتحليلها في سياقها العلمي. وقد تم ذلك عبر الخطوات الآتية:

بدأت الدراسة بتعريف شامل عن ظاهر الرواية و كتبها.

تفقدت المصادر الفقهية الأصيلة، خصوصًا كتب المذهب الحنفي، مع التركيز على المواضع التي تذكر "الزيادات" أو تستند إليها.

اعتمدت الدراسة على توثيق المصادر والمراجع توثيقاً منهجياً دقيقاً، وفق الأسس العلمية المتعارف عليها في البحوث الأكاديمية.

اقتُصر في ذكر الأعلام على ما له صلة مباشرة بسياق البحث، دون التوسع في التراجم، التزاماً بتركيز الدراسة على الجانب المنهجي لا التراجمية.

خُتمت الدراسة ببيان أبرز ما توصلت إليه من نتائج، وما أفرزته من رؤى منهجية وعلمية، مع تقديم توصيات علمية تسهم في إثراء البحث الفقهي المعاصر و خدمة التراث الحنفي.

خطة البحث:

تنقسم هذه الدراسة إلى مقدمة، وثلاثة مباحث متضمنة مطالب فرعية، ثم خاتمة.

المقدمة: تشمل على بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث وأسئلته، مع الإشارة إلى الدراسات السابقة و بيان المنهج المعتمد في الدراسة.

المبحث الأول: التعريف بكتب ظاهر الرواية وبيان مكانة الزيادات ضمنها.

المبحث الثاني: المنهج الفقهي للإمام الشيباني في كتاب "الزيادات".

المبحث الثالث: الخدمات العلمية التي حظي بها كتاب الزيادات عبر العصور.

الخاتمة: الخاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث.

المبحث الأول: التعريف بكتب ظاهر الرواية ومكانة الزيادات في الفقه الحنفي:

المطلب الأول: التعريف بظاهر الرواية:

أولا: التعريف باعتباره مركبا إضافيا :

اصطلاح ظاهر الرواية مكون من كلمتين "ظاهر" وهي المضاف، وكلمة "الرواية" و هي المضاف إليه، وتعريفه بهذا الاعتبار يستلزم تعريف جزئيه: ظاهر و الرواية.

فالظاهر: اسم فاعل من ظهَرَ يَظهَر، ظُهُورًا، فهو ظاهِر، والمفعول مظهور. وتدور معانيه في اللغة حول[١]:

١. الانكشاف والوضوح بعد خفاء، كما يقال: "ظهر الحق" أي بان واتضح بعد خفاء، "ظهَر بمظهر لائق: بدا في هيئة لائقة– ظهَر على حقيقته: انكشف أمره، افتُضح– ظهَر للعيان: اتَّضح، بدا للنّظر– يظهَر أنَّ: يبدو أنَّ".

٢. العلو والغلبة[٢]، كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾[٣].

---

(١) محمد بن مكرم بن على، أبو ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري ، ١٤١٤ هـ، لسان العرب، الطبعة: الثالثة، بيروت: دار صادر، ٤: ٥٢٠–٥٢٦.

(٢) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، ١٤١٢ هـ، المفردات في غريب القرآن، الطبعة: الأولى، دمشق بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ٥٤١.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٩٧.

٣. الكثرة والشيوع[١] كمافي قوله تعالى: : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[٢].

٤. الاطلاع على الشيء، كقولهم: والله أظهرنا عليه، أي: أَطْلَعَنا[٣].

٥. العز والارتقاء، كما في قوله تَعَالَى : ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [٤].

الرواية:

الرواية مصدر روَى يَروي، ارْوِ، فهو راوٍ، والمفعول مَرويّ، وهي تعني في اللغة الحمل والنقل، وفي المصباح المنير: " ومنه يقال رويت الحديث إذا حملته ونقلته ويعدى بالتضعيف فيقال رويت زيدا الحديث وبنى للمفعول فيقال روينا الحديث"[٥]. أما في اصطلاح الفقهاء، فالرواية تُطلق على ما يُنقل من الأحكام الفقهية الجزئية عن فقيهٍ ما، سواء كان من العلماء المتقدمين (السلف) أو المتأخرين (الخلف)، وإن كان الغالب أن يُراد بها أقوال السلف عند مقارنتها بأقوال المتأخرين.قال التهانوي: "وفي عرف الفقهاء ما ينقل من المسألة الفرعية من الفقيه سواء كان من السّلف أو الخلف، وقد يخصّ بالسلف إذا قوبل بالخلف"[٦]

ثانيا: التعريف باعتباره لقبا:

ظاهر الرواية عبارة عن مجموعة من المسائل الفقهية التي رُويت عن أئمة المذهب الأوائل، وعرفها ابن عابدين بما يلي: "وهي مسائل مروية عن أصحاب المذهب، وهم أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد، ويلحق بهم زفر والحسن بن زياد وغيرهما ممن أخذ عن الإمام، لكن الغالب الشائع في ظاهر الرواية أن يكون قول الثلاثة"[٧].

وجه التسمية:

فبناء على ما سبق من معنى اللغوي للظاهر والرواية يتبين لنا أن هذه المسائل سميت بظاهر الرواية؛ لما نالت عليه من شهرةٍ واسعةٍ بين فقهاء المذهب، ولِما حظيت به رواياتها من تواتر في النقل وقبول عام لدى الأئمة المتقدمين من الحنفية، حتى أصبحت أصلًا معتمدًا في بيان مذهب الإمام أبي حنيفة وأصحابه.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، ص: ٥٤١.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤١.

(٣) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، (د.ت)، كتاب العين، (د.ط)، دار ومكتبة الهلال، ٤: ٣٧.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٨.

(٥) أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، ٨ ذو الحجة ١٤٣١، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (د.ط)، بيروت: المكتبة العلمية، ١: ٢٤٦.

(٦) التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي، ١٩٩٦ م، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، الطبعة الأولى، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١: ٦٥٧.

(٧) ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، رد المحتار، الطبعة: الثانية، بيروت: دار الفكر، ١: ٦٩.

وقد امتازت هذه الروايات بعلوّ المنزلة على سائر الروايات الأخرى، من حيث وضوحها، وانتشارها، ودقة توثيقها، فغلبت غيرها من الروايات التي لم تبلغ هذا المستوى من الشهرة والاعتماد، ومن هنا جاءت تسميتها بـ"ظاهر الرواية"، أي الروايات الظاهرة والغالبة والمشهورة التي يتبنّاها جمهور فقهاء المذهب عند الترجيح والإفتاء.

قال ابن عابدين مبينا وجه التسمية: "وإنما سميت بظاهر الرواية؛ لأنها رويت عن محمد بروايات الثقات، فهي ثابتة عنه إما متواترة أو مشهورة عنه"[١].

المطلب الثاني: بيان عدد كتب ظاهر الرواية:

اختلفت أنظار علماء المذهب الحنفي في تحديد كتب ظاهر الرواية، وتعددت أقوالهم في ذلك إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول:

ذهب بعض من الفقهاء إلى أن كتب ظاهر الرواية أربعة، غير أنهم اختلفوا في تحديد هذه الأربعة، وانقسموا في ذلك إلى رأيين:

الرأي الأول:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن ظاهر الرواية يشمل روايات كتب: الجامع الكبير، والجامع الصغير، والمبسوط، السير الكبير. وهو ما ذهب إليه الإمام الجرجاني والتهانوي، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي.

قال الجرجاني: "وظاهر المذهب، وظاهر الرواية، المراد بهما: ما في المبسوط، والجامع الكبير، والجامع الصغير، والسير الكبير"[٢].

قال التهانوي نقلا عن الجرجاني: "ظاهر المذهب وظاهر الرواية: المراد بهما ما في المبسوط والجامع الكبير والجامع الصغير والسير الكبير والمراد بغير ظاهر المذهب والرواية الجرجانيات والكيسانيات والهارونيات كذا في الجرجاني"[٣].

قال البركتي: "ظاهر المذهب وظاهر الرواية: المرادُ بهما ما في المبسوط والجامع الكبير والجامع الصغير والسِّيَر الكبير من المسائل"[٤].

"لكن هذا الرأي ضعيف، لما أن الزيادات تُعدّ من أشهر كتب المذهب وأكثرها تداولًا، ولم أقف – في حدود ما اطلعت عليه– على من أخرجها من كتب ظاهر الرواية غير الجرجاني والتهانوي" [٥].

---

(١) ابن عابدين، رد المحتار، ١: ٦٩.

(٢) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، التعريفات، الطبعة: الأولى، بيروت لبنان: دارالكتب العلمية، ص: ١٤٣.

(٣) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ٢: ١١٤٦.

(٤) محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، التعريفات الفقهية، الطبعة: الأولى، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، ص: ١٣٩.

(٥) الدكتور لؤي بن عبدالرؤوف الخليلي، (د.ت) لآلي المحار في تخريج مصادر ابن عابدين في حاشيته رد المحتار، (د.ط)، دار الفتح للدرسات والنشر، ١: ٧٣.

الرأي الثاني:

يرى فريق عدم إدراج كتاب السير الصغير وكتاب الزيادات ضمن كتب ظاهر الرواية، يرى أصحاب هذا الاتجاه أن ظاهر الرواية يشمل روايات كتب: الجامع الكبير، والجامع الصغير، والمبسوط، والزيادات. وهذه هي التي يُعبَّر عنها اصطلاحًا بـ "ظاهر الرواية"، وما عداها يُعدّ من "غير ظاهر الرواية". وقد اشتهر هذا التقسيم بين الفقهاء حتى صار كالمجمع عليه بينهم.

وممن تبنّى هذا القول: الإتقاني، والبابرتي، وقاضي زاده، وكذلك طاشكبري زاده.

قال قاضي زاده: "المراد بظاهر الرواية عند الفقهاء رواية الجامعين والزيادات والمبسوط.والمراد بغير ظاهر الرواية عندهم رواية غيرها، وهذا مع كونه شائعا فيما بينهم مذكور في مواضع شتى قد صرح به الشراح قاطبة حتى ذلك الشارح نفسه أيضا في كتاب الإقرار، ولا شك أن مراد صاحب العناية أيضا هاهنا بقوله إن ما روى ابن سماعة عن محمد ليس بظاهر الرواية أنه ليس من رواية تلك الكتب الأربعة لمحمد – رحمه الله – التي هي رواية المعتد بها جدا"[١].

قال الأتقاني: "والمراد من رواية الأصول رواية الجامعين والزيادات والمبسوط والمراد من غير رواية الأصول رواية النوادر والأمالي والرقيات والكيسانيات و غيرها"[٢].

قال البابرتي في كتابه العناية: "رواية الأصول رواية الجامعين والزيادات والمبسوط ورواية غير الأصول رواية النوادر والأمالي والرقيات والكيسانيات والهارونيات."[٣]

القول الثاني: إنّ عدد كتب ظاهر الرواية خمس، وهي: الأصل (المعروف بالمبسوط)، والجامع الصغير، والجامع الكبير، والزيادات، والسّير الكبير. وأمّا السير الصغير، فلم يعدوهم أصحاب هذا القول من كتب ظاهر الرواية.

وقد ذهب إلى هذا القول جماعة من أعلام المذهب، منهم: ابن كمال باشا، وطاشكبري زاده، وابن الحنائي، وتقي الدين التميمي، وبيري زاده، والحموي، وصاحب المنثورة، وعبد الولي بن عبد الله المغربي الدمياطي[٤].

قال الأحمد نكري في كتابه دستور العلماء: "وقال المحققون بعد تفحص كتب ظاهر الرواية أن عدد كتب الافتاء يصل إلى ذلك العدد وتلك الكتب خمسة صنفها الإمام محمد رحمه الله تعالى وأساميها في هذا البيت:

(مبسوط و جامعين و زيادات با سير ... در ظاهر الروايَة اين پنج را نگر)"[٥].

---

(١) شمس الدين، أحمد بن قودر، المعروف بقاضي زاده أفندي، (د.ت) نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار وهو: تكملة «فتح القدير، شرح الهداية، (د.ط)،بيروت: دار الفكر، ٩: ١٠٤.

(٢) قوام الدين بن أمير كاتب بن أمير عمر الأتقاني، (د.ت)، غاية البيان، الطبعة الأولى، الكويت: دار الضياء للنشر والتوزيع،١: ٢٨٤.

(٣) محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي، (د. تا) العناية شرح الهداية، (د. ط) بيروت: دارالفكر، ١: ١٣٦.

(٤) الدكتور لؤي بن عبدالرؤوف الخليلي، لآلي المحار في تخريج مصادر ابن عابدين في حاشيته رد المحتار١: ٧٣.

(٥) القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، «دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون»، الطبعة: الأولى، بيروت لبنان: دارلكتب الكتب العلمية، ٣: ١٣.

قال الكفوي: "وظاهر الرواية: هي الكتب المنسوبة إلى الإمام محمد وهي رواية " المبسوط " و" الجامعين " و" السيرين" و" الزيادات "[١].

قال الحاج خليفة: "وفي المنثورة: الكتب التي هي ظاهر الرواية لمحمد، خمسة: الجامع الصغير و المبسوط و الجامع الكبير والزيادات و السير الكبير"[٢].

القول الثالث: إنّ كتب ظاهر الرواية تبلغ ستة، وهي: الأصل (ويُعرف أيضًا بـ"المبسوط")، والسير الصغير، والجامع الصغير، والجامع الكبير، والزيادات، والسير الكبير.

وقد ذهب إلى هذا القول جماعة من كبار المحققين، منهم: ابن نجيم، وابن الحنائي، والطحطاوي، وابن عابدين، واللكنوي، وتابعهم عليه عدد كبير من المعاصرين، كالشيخ محمد المطيعي، والعلامة محمد أبو زهرة، والمحدث المجددي، والقاسمي، والشيخ محمد تقي العثماني، والدكتور محمد محروس المدرس، وغيرهم ممن اعتبروا هذا القول هو الأشهر والمعتمد عند عامة المتأخرين.

وقد نظم ابن عابدين هذا الرأي في أبيات لطيفة، حيث قال:

وكتبُ ظاهرِ الروايةِ أتَتْ	ستًّا وبالأصولِ أيضًا سُمِّيَتْ
صنَّفَها محمدٌ الشَّيباني	حرَّرَ فيها المذهبَ النُّعماني
الجامعُ الصغيرُ والكبيرُ	والسِّيَرُ الكبيرُ والصغيرُ
ثمَ الزياداتُ معَ المبسوطِ	تَواترتْ بالسَّندِ المضبوطِ [٣]

المطلب الثالث: تعريف مختصر لكتب ظاهر الرواية:

الكتاب الأول: الأصل:

ويُعرف أيضًا بـ المبسوط. يُعد كتاب الأصل من أعظم مصنفات الإمام محمد بن الحسن الشيباني، بل هو أضخم كتب ظاهر الرواية وأبسطها، حتى قيل فيه: هو بحرٌ لا ساحل له.

ذكر ابن نجيم رحمه الله أن هذا الكتاب سُمي الأصل؛ لأنه كان أول ما صُنّف من كتب ظاهر الرواية، ثم تبعته كتب: الجامع الصغير، ثم الجامع الكبير، ثم الزيادات[٤] .

---

(١) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، (د.ت) الكليات، (د.ط) بيروت: مؤسسة الرسالة ، ص: ٥٩٤.

(٢) مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، ١٩٤١ م، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (د.ط) بغداد: مكتبة المثنى، ٢: ١٢٨٢.

(٣) ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، ٢٠٠٩م، شرح عقود رسم المفتي، الطبعة الأولى، باكستان: المكتبة البشرى،ص: ١٨.

(٤) سراج الدين عمر بن إبراهيم بن نجيم الحنفي، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، النهر الفائق شرح كنز الدقائق، الطبعة: الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١: ٣٦٦.

وقد بدأ الإمام محمد تصنيفه بتأليف كتب مفردة في موضوعات متفرقة، فألّف مثلًا كتاب "الصلاة"، وكتاب "البيوع"، وكتاب "الأيمان والإكراه"، ثم جُمعت هذه الكتب لاحقًا في مصنَّف واحد سُمِّي "المبسوط"[١].

ولذلك يُفهم من إطلاق قولهم في الكتب: "قال محمد في كتاب كذا من المبسوط"، أن المقصود هو "الأصل".

وقد تميز هذا الكتاب بتوسّعه الكبير في عرض المسائل وتفريعاتها، حتى يقال إنّ الطالب يُتعب في ضبطه، ويعجز عن استيعابه. وقد حفظه الإمام الشافعي –رحمه الله–، وألف كتابه "الأم" على منواله، ومما يُروى أن حكيمًا من أهل الكتاب أسلم بعد مطالعته لهذا الكتاب، وقال: «إذا كان هذا كتاب محمدكم الأصغر، فكيف هو كتاب محمدكم الأكبر؟!»[٢].

ومن أهم خصائص "الأصل" اهتمامه بذكر الخلاف، حيث قال في مقدمته: "قد بينتُ لكم قول أبي حنيفة وأبي يوسف وقولي، وما لم يكن فيه اختلاف فهو قولنا جميعاً"[٣].

كما يذكر أحيانًا رأي الإمام زفر، ويورد روايات الحسن بن زياد عن الإمام أبي حنيفة، مما يثري جوانب المقارنة بين روايات الأئمة. وقد رواه عن الإمام محمد جماعة من كبار أصحابه، منهم: أبو سليمان الجوزجاني، ومحمد بن سماعة التميمي، وأبو حفص الكبير البخاري[٤].

الكتاب الثاني: الجامع الصغير:

الجامع الصغير هو ثاني مؤلفات الإمام محمد بن الحسن الشيباني ضمن كتب "ظاهر الرواية"، وقد ألّفه بعد كتاب "الأصل"، ويُعتمد عليه اعتمادًا كبيرًا في الفقه الحنفي[٥].

يضم هذا الكتاب (١٥٣٢) مسألة كما نص على ذلك الإمام البزدوي، وذكر فيه الاختلاف في (١٧٠) مسألة، بينما لم يورد فيه مسائل القياس والاستحسان إلا في موضعين فقط[٦].

أما سبب تأليفه، فقد أشار إليه الإمام السرخسي في شرحه، وبيّن أن أبا يوسف طلب من محمد بعد ما فرغ من تصنيف الكتب، أن يجمع فيه ما حفظه عنه مما رواه له عن أبي حنيفة، فقام محمد بتأليفه، وعرضه عليه، فقال أبو يوسف: «نِعْمَا ما حفظ عني أبو عبد الله، إلا أنه أخطأ في ثلاث مسائل»، فقال محمد رحمه الله: "أنا ما أخطأت، ولكنك نسيت

---

(١) الدكتور محمَّد بوينوكالن، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م، مقدمة كتاب الأصل (المبسوط)، طبعة: الأولى، بيروت لبنان: دار ابن حزم، ص: ١٠٥.

(٢) أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، الطبعة الأولى، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، ص: ١٥.

(٣) محمد بن الحسن الشيباني، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م، الأصل (المبسوط)، طبعة: الأولى، بيروت لبنان: دار ابن حزم، ١: ٥.

(٤) بوينوكالن، مقدمة كتاب الأصل (المبسوط)، ص: ٧٥.

(٥) زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، (د. تا)، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، (د. ط)، دار الكتاب الإسلامي، ٢: ١٧٠.

(٦) مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ١: ٥٦٣.

الرواية"[١]. وقد ذكر ابن نجيم في "البحر الرائق" أن هذه المسائل في الحقيقة ست، وذكر تفاصيلها نقلًا عن السراج الهندي في شرحه على "المغني"[٢].

وبيّن ابن أمير الحاج أن أكثر كتب محمد قرئت على أبي يوسف، باستثناء الكتب التي وُصفَت بـ"الكبير"، فهي من تصنيفه الخاص، مثل "المضاربة الكبير" و"المزارعة الكبير" و"المأذون الكبير" و"الجامع الكبير" و"السير الكبير"[٣].

ومن الجدير بالذكر أن الإمام محمد حرص على ذكر إسناد كل مسألة بقوله: "محمد عن يعقوب عن أبي حنيفة"، وذلك مراعاةً للأدب في عدم المساواة بين شيخه أبي حنيفة وأبي يوسف عند الذكر، خاصة أن الكنية في الغالب تُستخدم للتعظيم، وكان محمد مأمورًا من قِبل أبي يوسف أن يذكره باسمه دون كنية عند ذكر الإمام أبي حنيفة[٤].

ونقل علي القمي أن أبا يوسف — على جلالة قدره — لم يكن يفارق هذا الكتاب، سواء في سفره أو حضره، وكان علي الرازي يقول: "من فهم الجامع الصغير فهو من أفهم أصحابنا، ومن حفظه كان من أحفظهم"، وكان المتقدّمون من مشايخ الحنفية لا يولّون أحدًا القضاء حتى يختبرسوه في هذا الكتاب، فإن حفظه قلدوه القضاء، وإلا أمرُوه بحفظه أولًا[٥].

قال السرخسي: "وكان شيخنا الحلواني يقول: إن معظم مسائل هذا الكتاب مذكورة أيضًا في المبسوط، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع:

١. مسائل لا يُعرف لها موضع إلا في هذا الكتاب.

٢. مسائل مذكورة في كتب أخرى، لكن لم يُبيَّن فيها قائلها، وقد أوضح الإمام محمد هنا أن الجواب هو قول أبي حنيفة.

٣. مسائل أعادها الإمام محمد بلفظ مختلف، مما أفاد معاني جديدة لم تكن مستفادة في صيغتها الأولى، وهذا النوع الثالث هو ما أشار إليه أبو جعفر الهندواني في كتابه كشف الغوامض"[٦].

وتبرز أهمية الجامع الصغير من كونه ضمن كتب ظاهر الرواية، ولما فيه من مسائل لم تُذكر في "الأصل"، ولهذا يقدّم ما فيه عند التعارض؛ لأنه أُلّف بعده. وقد ألّف العلماء شروحًا كثيرة على هذا الكتاب، مابين مخطوط ومطبوع.

---

(١) محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، ٢٠٢١م- ١٤٤٣هـ. شرح الجامع الصغير، الطبعة الثانية، تركيا، نشريات وقف الديانة التركي، ١: ٣١.

(٢) زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري،البحر الرائق شرح كنز الدقائق،١: ٦٥.

(٣) ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، شرح عقود رسم المفتي، ص: ٢٥.

٤ محمد بن محمد بن محمود الرومي البابرتي، العناية شرح الهداية، (د. ط) بيروت: دارالفكر، ١: ٢٤٧.

(٥) محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، شرح الجامع الصغير، ١: ٣١

(٦) محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، شرح الجامع الصغير، ١: ٣١ – ٣٢.

الكتاب الثالث: الجامع الكبير:

صنّف الإمام محمد بن الحسن الشيباني – رحمه الله –كتاب "الجامع الكبير" بعد "الجامع الصغير"[١]، ويُعتبر من أهم وأعمق وأدق مصنفاته الفقهية.

للكتاب نسختان:

النسخة الأولى: ألفها في بداية تأليفه، ورواه عنه أصحابه مثل أبو حفص الكبير، وأبو سليمان الجوزجاني، وهشام بن عبيد الله الرازي، ومحمد بن سماعة وغيرهم.

النسخة الثانية: عاد الإمام محمد لنظر الكتاب مرة أخرى، فأضاف إليه أبوابًا ومسائل كثيرة، وصحح عباراته في مواضع كثيرة، فزاد الكتاب في طول النص وغزارة المعنى، ثم روى عنه أصحابه النسخة الثانية[٢].

قال الإمام محمد بن شجاع الثلجي: "ما وضع في الإسلام كتاب في الفقه مثل جامع محمد بن الحسن الكبير"[٣].

وأضاف مشبهاً إياه بقوله: "مثل محمد بن الحسن في الجامع الكبير، كرجل بنى دارا، فكان كلما على بنى مرقاة يرقى منها إلى ما علاه من الدار حتى استتم بناءها كذلك، ثم نزل عنها وهدم مراقيها، ثم قال للناس: شأنكم فاصعدوا."[٤]

وأشاد الإمام الكوثري بالكتاب قائلاً: "إنه كتاب جامع لجلائل المسائل، مشتمل على عيون الروايات ومتون الدرايات، حتى كاد أن يكون معجزًا، كما يقول الأكمل في شرحه على تلخيص الخلاطي للجامع الكبير."[٥]

وقد روى الإمام أبو بكر الرازي أنه كان يقرأ بعض مسائل من الجامع الكبير على بعض المبرزين في النحو، يعني أبي علي الفارسي، وكان يعجب من دقة واضع هذا الكتاب في النحو[٦].

منهجه:

لم يرتب "الجامع الكبير" وفق الترتيب الفقهي المعتاد، بل بيّن حكم المسألة، وأبدى رأيه إلى جانب رأي شيخيْه في كثير من مسائل الخلاف، دون إيراد الأدلة. ويقول الدكتور علي أحمد الندوي منهج الشيباني: "ليست في الكتاب مقدمة تنبيء عن منهج سار عليه المؤلف، لكنه يلاحظ بعد ترديد النظر في أبوابه أنه جرى على سنن معين في ذكر الآراء، فتجده يذكر قول الإمام أبي حنيفة، ثم قول الإمام أبي يوسف، وفي الأخير قوله.

وإذا لم يكن خلاف في المسألة، فلا ينص على اسم ويسجل المسألة فحسب.

---

(١) أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، البناية شرح الهداية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ٢: ٥٠٩.

(٢) أبو الوفا الأفغاني، ١٣٥٦هـ، مقدمة الجامع الكبير، الطبعة الأولى، مكتبة الاستقامة، ص: ٥.

(٣) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ١٤٠٨ هـ، مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، الطبعة الثالثة، الهند حيدر آباد الدكن: لجنة إحياء المعارف النعمانية، ص: ٨٤.

(٤) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، ص: ٩٠.

(٥) محمد زاهد بن حسن الكوثوي، (د.ت) بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني، (د. ط)، مصر: المكتبة الأزهرية للتراث، ص: ٦٤.

(٦) أبو الوفا الأفغاني، ١٣٥٦هـ، مقدمة الجامع الكبير، الطبعة الأولى، مكتبة الاستقامة، ص: ٥.

وأحيانا تجده يكتفي بذكر رأي الإمام أبي يوسف مع رأيه ويسكت عن قول الإمام أبي حنيفة"[١].

ونظرًا لصعوبة مسائل الكتاب، فقد قام عدد كبير من العلماء بشرحه، واستقصى حاجي خليفة كثيرًا من هذه الشروحات في مؤلفاته.

الكتاب الرابع: الزيادات:

وسيأتي مفصلا ما يتعلق به.

الكتاب الخامس: السير الصغير:

يُعَدّ هذا الكتاب أحد مؤلفات ظاهر الرواية، ويغلب على الظن وجوده ضمن كتاب الأصل في النسخ التي بأيدينا. وقد طبع طبعة مستقلة بتحقيق مجيد خدوري في بيروت سنة ١٩٧٥ بالاعتماد على بعض نسخ كتاب الأصل. والكتاب يحتوي على مسائل الجهاد والحرب والسلام وما يلحق بذلك مما يدخل في موضوع القانون الدولي اليوم[٢].

الكتاب السادس: السِّير الكبير:

وهو كتاب متخصص في الأحكام الفقهية المتعلقة بالغزوات والحرب وعلاقات المسلمين بغيرهم وهو يمثل مصدراً أصيلاً في القانون الدولي العام عند المسلمين. تكلم فيه محمد بن الحسن عن أهل الإسلام وأهل الحرب المشركين، وبين أحكام الأساري من الفريقين، سواء كانوا رجالاً أم نساءً أم أطفالاً، وإسلام المشركين والأمان على اختلاف ضروبه وألفاظه، والمستأمنين، والرسل الذين يفدون إلى دار الإسلام من دار الحرب والحصانات التي يتمتعون بها، والغنائم، والصلحوالتحكيم، والفداء، وأحكام السلاح والرقيق والكراع، والأراضي التي يستولي عليها أهل الحرب في الحرب، وأهل الإسلام في دار الحرب، ونقض المعاهدات، وجرائم الحرب، هذا إلى مئات من المسائل المتعلقة بأهل الحرب، وصلاتهم بالمسلمين في أيام الحرب والسلم معاً.

وقد اعتمد الشيباني في ذلك كله على القرآن، أو الأحاديث التي قيلت في مغازي الرسول ، على أثر حوادث معينة وقعت وعلى الأحكام التي وقعت أثناء حروب المسلمين وفتوحهم، كما أعمل القياس في أحايين كثيرة، وجعل لذلك كله أحكاماً جيدة"[٣].

يُعتبر السير الكبير آخر تصنيف فقهي وضعه الإمام محمد بن الحسن الشيباني – رحمه الله – في ميدان الفقه، صنفه بعد انصرافه من العراق، ولهذا لم يروه عنه[٤].

---

(١) الدكتور علي أحمد الندوي، ١٤١٤ هـ، الإمام محمد بن الحسن الشيباني نابغة الفقه الإسلامي، الطبعة الأولى، دمش: دار الفكر، ص: ١٠٤.

(٢) بوينوكالن، مقدمة كتاب الأصل (المبسوط)، ص: ٣٣.

(٣) أستاد الدكتور يوسف عبدالرحمن المرعشلي، (د. ت) مصادر الدراسات الإسلامية القسم الثالث الفقه الحنفي أصولا وفروعا، (د. ط) باكستان بشاور: المكتبة الحقانية، ١: ٤٨.

(٤) حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ٢: ١٠١٣.

أمّا سبب تأليف السير الكبير، فقد نقل الإمام السرخسي: "أن السير الصغير وقع في يد عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي عالم أهل الشام. فقال: لمن هذا الكتاب؟ فقال: لمحمد العراقي. فقال: وما لأهل العراق والتصنيف في هذا الباب؟ فإنه لا علم لهم بالسير. ومغازي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه كانت من جانب الشام والحجاز دون العراق. فإنها محدثة فتحا. فبلغ مقالة الأوزاعي محمدا فغاظه ذلك وفرغ نفسه حتى صنف هذا الكتاب. فحكى أنه لما نظر فيه الأوزاعي قال: لولا ما ضمنه من الأحاديث لقلت إنه يضع العلم من عند نفسه. وإن الله عين جهة إصابة الجواب في رأيه. صدق الله {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ}[١]" [٢].

وقال ابن عابدين رحمه الله نقلا عن شرح الأشباه للبيرى قال علماؤنا: "إذا كانت الواقعة مختلفا فيها فالافضل والمختار للمجتهد أن ينظر بالدلائل وينظر إلى الراجح عنده والمقلد يأخذ بالتصنيف الأخير وهو السير إلا أن يختار المشايخ المتأخرون خلافه فيجب العمل به ولو كان قول زفر" [٣].

المطلب الرابع مكانة "الزيادات" ضمن تصنيف كتب المذهب: ظاهر الرواية أم كتب النوادر؟

اختلف العلماء في تصنيف كتاب الزيادات، فبرز في ذلك اتجاهان:

الاتجاه الأول: أن الزيادات ليس من كتب ظاهر الرواية، وبه قال الجرجاني و تبعه في ذلك التهانوي والبركتي.

قال الجرجاني: "وظاهر المذهب، وظاهر الرواية، المراد بهما: ما في المبسوط، والجامع الكبير، والجامع الصغير، والسير الكبير"[٤].

قال التهانوي نقلا عن الجرجاني: "ظاهر المذهب وظاهر الرواية: المراد بهما ما في المبسوط والجامع الكبير والجامع الصغير والسير الكبير والمراد بغير ظاهر المذهب والرواية الجرجانيات والكيسانيات والهارونيات كذا في الجرجاني".[٥]

لكن هذا الرأي ضعيف، لما أن الزيادات تُعدّ من أشهر كتب المذهب وأكثرها تداولًا، ولم أقف في حدود ما اطلعت عليه– على من أخرجها من كتب ظاهر الرواية غير الجرجاني والتهانوي[٦].

غير أن هذا الرأي يُعَدّ ضعيفًا؛ إذ إن كتاب الزيادات من أشهر مؤلفات المذهب وأكثرها تداولًا، ولم يُعرف ـ في حدود ما وُقف عليه ـ من أخرجه من ظاهر الرواية سوى الجرجاني والتهانوي.

---

(١) سورة يوسف الآية: ٧٦.

(٢) محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، (د. ت)، شرح السير الكبير، (د.ط) بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، ١: ٤.

(٣) ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، شرح عقود رسم المفتي، ص: ٢٦.

(٤)علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، التعريفات، الطبعة: الأولى، بيروت لبنان: دارالكتب العلمية، ص: ١٤٣.

(٥) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ٢: ١١٤٦.

(٦) الدكتور لؤي بن عبدالرؤوف الخليلي، (د.ت) لآلي المحار في تخريج مصادر ابن عابدين في حاشيته رد المحتار، (د.ط)، دار الفتح للدرسات والنشر، ١: ٧٣.

الاتجاه الثاني: أن كتاب الزيادات يعد من كتب ظاهر الرواية ويمثّل أحد المراجع الأساسية للفقه الحنفي، وذلك لأنه مرويّ عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني بروايات مشتهرة، نقلها الثقات، واتفق عليه جمهور الفقهاء، قديما وحديثا، وأصحاب كتب الطبقات والتراجم.

الرأي الراجح ـ الذي تبناه أكثر المحققين ـ هو إدخاله في ظاهر الرواية، وهو اختيار كبار الأئمة، مثل: ابن عابدين، وطاش كبري زاده، واللكنوي، ومحمد أبو زهرة، ومحمد زاهد الكوثري، وأبو الوفاء الأفغاني.

قال أبوالوفاء الأفغاني عند عداد كتب الإمام محمد الشيباني رحمه الله: ومنها (ظاهر الرواية) الزيادات وزيادات الزيادات ألفهما بعد الجامع الكبير استدراكاً لما فاته فيه وتعدان من أبدع كتبه حتى قال قائل يصفه :

إن الزيادات زاد الله رونقها ... عقم مسائلها من أصعب الكتب

أصولها كالعذارى قط ما اقترعت ... فروعهن يد في العجم والعرب

ينال قارئها في العلم منزلة ... يغيب إدراكها عن أعين الشهب

وقد عني أهل العلم بشروحها عناية كاملة وهما من الكتب المروية عنه بطريق الشهرة وغلط من ذكرها في عداد النوادر اهـ. (بلوغ الأماني مختصراً) قلت: ويؤيد هذا القول شروح الأئمة لها لأنهم لم يشرحوا النوادر لأنهم ليس لهم علم بدلائل النوادر وأصولها"[١] .

يوجد العديد من النصوص الواضحة والصريحة من علماء وفقهاء المذهب الحنفي التي تشير إلى أن كتاب الزيادات يُعتبر جزءًا من كتب ظاهر الرواية.

فعلى سبيل المثال، أورد أبو المعالي برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مازة البخاري قول الإمام محمد بن الحسن الشيباني من كتابه الزيادات، حيث قال: "قال محمد رحمه في «الزيادات»: وإذا اشترى الرجل من آخر جارية بيضاء إحدى العينين وهو يعلم بذلك فلا خيار له في ردها، لأن العيب إنما يثبت حق الرد للمشتري إذا عجز البائع عن تسليم بالتزام، ولم يعجز لأنه التزم تسليمها معيبة لما علم المشتري بعيبها وقت البيع، فإن لم يقبضها المشتري حتى انجلى البياض ثم عاد البياض فهي لازمة للمشتري ولا خيار له في ردها، وعن أبي يوسف: أن له الخيار، والصحيح ماذكر في ظاهر الرواية"[٢] .

وهنا أطلق على ما روي عن الإمام محمد مصطلح ظاهر الرواية بشكل واضح.

---

(١) أبو الوفاء الأفغاني، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، مقدمة النكت للإمام شمس الأئمة السرخسي، الطبعة الأولى، بيروت لبنان: عالم الكتب، ص: ١٢.

(٢)أبو المعالي برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ البخاري الحنفي، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م، المحيط البرهاني في الفقه النعماني، الطبعة: الأولى، بيروت دار الكتب العلمية، ٦: ٥٥٤.

وفي موضع آخر من كتابه، أشار إلى مسألة لم يرد ذكرها في الجامع أو الزيادات، لكنها رويت في النوادر، حيث يقول: "وإذا قال: لا أقول لفلان كذا، لم يذكر محمد رحمه الله هذه المسألة في الجامع، ولا في الزيادات. وروي عنه في «النوادر»: أنه مثل الخبر والبشارة، حتى الحنث بالكتاب والرسالة"[١].

فجعله رواية الجامع والزيادات في مقابل النوادر، يدل على أن برهان الدين يعتبر الزيادات من كتب ظاهر الرواية وليس من كتب النوادر.

و قال الكاساني: "فإن اقتصر في يمينه على الإضافة والإضافة إضافة ملك فيمينه على ما في ملك فلان يوم فعل ما حلف عليه حتى يحنث سواء كان الذي أضافه إلى ملك فلان في ملكه يوم حلف أو لم يكن بأن حلف لا يأكل طعام فلان أو لا يشرب شراب فلان أو لا يدخل دار فلان أو لا يركب دابة فلان أو لا يلبس ثوب فلان أو لا يكلم عبد فلان ولم يكن شيء منها في ملكه ثم استحدث الملك فيها هذا جواب ظاهر الرواية في الأصل والزيادات وهو إحدى الروايتين عن أبي يوسف"[٢].

وبهذا يكون واضحًا أنه أطلق على ما ورد في كتاب الأصل وكتاب الزيادات مصطلح ظاهر الرواية، معتبراً إياهما من كتب ظاهر الرواية.

المبحث الثاني: المنهج الفقهي للإمام الشيباني في كتاب "الزيادات" :

المطلب الأول: بيان سبب تأليف الكتاب:

في الدوافع التي حمل الإمام محمد بن الحسن الشيباني على تأليف كتاب الزيادات، آراء واتجاهات نقلت عن فقهاء الحنفية، ويمكن أن نلخصها في أربعة اتجاهات:

١. التحدي العلمي وإثبات القدرة:

يروى أن الإمام أبا يوسف، أثناء إملائه لمسائل فقهية دقيقة في أحد مجالسه، علّق قائلًا: "أن محمدا يشق عليه تخريج هذه المسائل" فلما بلغ الإمام محمدًا هذا القول، بادر إلى تأليف الزيادات، ليبرهن على قدرته على تفريع أدق المسائل وأعقدها، وليظهر براعته في الاستنباط[٣].

٢. إكمال للكتب الخمسة الكبرى:

(١) أبو المعالي برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ البخاري الحنفي، المحيط البرهاني في الفقه النعماني، ٤: ٢٤٩.

(٢)علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الطبعة: الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية، ٣: ٧٨.

(٣) محمد زاهد بن حسن الكوثري بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني، ٦٤. و حاجي خليفة ،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ٢: ٩٦٢.

هناك من يذهب إلى أن الزيادات يُعد مكمّلًا للكتب الخمسة المعروفة في المذهب الحنفي، إذ جاء ليغطي ما لم يُذكر من فروعها ومسائلها[١].

٣. التدوين اعتمادا على أمالي أبي يوسف:

وقيل: أن ابنًا للإمام محمد بن الحسن كان يحضر مجالس الإملاء عند أبي يوسف، فيكتب ما يسمعه منه. فكان الإمام محمد يتخذ تلك الأبواب التي أملاها أبو يوسف أساسًا، ثم يضيف إليها ما يكمل مباحثها. ومن ثم لم تأتِ أبواب كتابه مرتبة على نسق واحد، بل وقع فيها اختلاف في الترتيب، لأن الإمام محمد قصد التبرك بأمالي شيخه أبي يوسف[٢].

وهذه الرواية لم تتضمن ما جاء في الرواية الأولى من قول أبي يوسف بأن تخريج مسائله يشق على الإمام محمد.

٤. تتمة لكتاب الجامع الكبير:

يذكر أن الإمام محمدًا، بعد فراغه من تأليف الجامع الكبير، تذكر مسائل لم يدرجها فيه، فصنف كتاب الزيادات ليضم تلك الفروع. ثم تذكر مسائل أخرى، فشرع في تأليف كتاب زيادات الزيادات، لكنه لم يتمه[٣].

الرأي الراجح:

ويترجح فيما يبدو الرأي الرابع، يقول في ذلك الدكتور قاسم أِشرف: "يؤيد ذلك ما ثبت في بعض نسخ منتخب شرح الزيادات الذي انتخبه صدر الدين سليمان بن وهب من شرح الزيادات لقاضي خان، فجاء عنوان الكتاب كالتالي : الزيادات على الجامع الكبير ، محفوظ في قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٤٢/ فقه حنفي .

وهو اختيار الفقيه محمد بن محمد الملقب برضي الدين السرخسي، مصنف المحيط الرضوي من الكتب الفقهى الموسوعي في أربعين مجلدا ، نقل اللكنوي عنه : جمعت في هذا الكتاب عامة مسائل الفقه مع مبانيها على حسن ترتيبها، وجودة تقسيمها إلى أن قال : وبدأت كل باب بمسائل المبسوط لما أنها أصول مثبتة، وأردفتها بمسائل النوادر والنوازل ؛ لما أنها من أصول المسائل منزوعة، ثم أعقبتها بمسائل الجامع ؛ لما أنها من زبدة الفقه مجموعة ، ثم ختمتها بمسائل الزيادات لما أنها على فروع الجامع مزيدة، وسميته محيطا لما أنه محيط بمسائل الكتب.

ولأن منهج الإمام محمد في الزيادات» يطابق تماما منهجه في الجامع الكبير، فهو يسرد المسائل في عبارات دقيقة جامعة دون ذكر للأدلة"[٤].

---

(١) الدكتور قاسم أشرف نور أحمد، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، مقدمة تحقيق شرح الزيادات للإمام قاضيخان، الطبعة الأولى، بيروت لبنان: دار إحياء التراث العربي، ١: ١٠٢.

(٢) حاجي خليفة ،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ٢: ٩٦٢.

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) الدكتور قاسم أشرف نور أحمد، مقدمة تحقيق شرح الزيادات للإمام قاضيخان، ١: ١٠٣.

المطلب الثاني: وصف ترتيب الكتاب:

افتتح الإمام محمد بن الحسن كتاب الزيادات بباب "المأذون"، مخالفًا بذلك ترتيب سائر كتبه، وقد ظل ترتيب الإمام محمد قائمًا حتى قام أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن مالك الزعفراني — وهو نفسه مرتب كتاب الجامع الصغير — بإعادة ترتيب الكتاب على الهيئة التي هي مغايرة عن ترتيب الإمام.

وفي هذا السياق، يذكر البابرتي في شرحه لعبارة صاحب الهداية: "وموضعه أوائل الزيادات في ترتيب الأصل» ما نصه: "وموضعه أوائل الزيادات في ترتيب الأصل، أراد بترتيب الأصل ترتيب محمد، فإنه افتتح كتاب الزيادات بباب المأذون مخالفا لترتيب سائر الكتب تبركا بما أملى به أبو يوسف، فإن محمدا أخذ ما أملى وبين أبو يوسف بابا بابا وجعله أصلا، وزاد عليه من عنده ما يتم به تلك الأبواب فكان أصل الكتاب من تصنيف أبي يوسف وزياداته من تصنيف محمد ولذلك سماه كتاب الزيادات، وكان ابتداء إملاء أبي يوسف في هذا الكتاب من باب المأذون ولم يغيره محمد تبركا به، ثم رتبها الزعفراني على هذا الترتيب الذي هي عليه اليوم"[١].

المطلب الثالث: الحديث عن النسخ المتداولة والمخطوطات المعروفة:

يعد كتاب الزيادات للإمام محمد بن الحسن الشيباني من الكتب التي لم تنشر بعد، وقد أشار كل من فؤاد سزكين وكارل بروكلمان إلى وجود مخطوطاته في عدة مكتبات عالمية. ومن بين المكتبات التي ذكراها:

١. في تركيا: مكتبة لاله لي بإسطنبول، ومكتبة جار الله، و مكتبة آيا صوفيا، ومكتبة الفاتح، ومكتبة يني جامع، ومكتبة ولي الدين.
٢. في العالم العربي: دار الكتب المصرية بالقاهرة، و مكتبة ابن عابدين بدمشق[٢].

في سياق البحث عن المخطوطات الأصلية لكتاب "الزيادات"، يؤكد الدكتور قاسم أشرف نور أحمد – محقق كتاب شرح الزيادات لقاضي خان، أنه خلال رحلته العلمية إلى إسطنبول ودمشق والقاهرة تفاجأ بأن النسخ التي عنونت بـ «الزيادات» كانت إما نسخاً من كتاب «منتخب شرح الزيادات»، أو نسخاً من شرح الزيادات لقاضي خان. وقد نسب سيزكين وبروكلمان هذه النسخ إلى مكتبات عدة باعتبارها نسخاً من كتاب «الزيادات».

ويقول:"والمعروف أن فؤاد سزكين وبروكلمان يعتمدون على فهارس المكتبات في نقل أسماء الكتب أكثر من اعتماده على مراجعة الكتب نفسها، وهذه الفهارس تعوزها الدقة حتى الآن"[٣].

و يقول محقق كتاب ‘‘منتخب الزيادات للأذرعي’’ محمد أنس السباعي: "لكن كما ذكرنا سابقاً فإن كتاب الزيادات» على الطريقة والترتيب الذي صنفه الإمام محمد رحمه الله كتاب مفقود ، بل نسخة الزعفراني التي قام بترتيبها هي أيضاً

(١) أكمل الدين أبو عبد الله البابرتي، العناية شرح الهداية، ٧: ٢٢٦.

(٢) الدكتور فؤاد سزكين، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م، تاريخ التراث العربي لسزكين – العلوم الشرعية، (د. ط) نقله إلى العربية: د محمود فهمي حجازي، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،٣: ٥٧.

(٣) الدكتور قاسم أشرف نور أحمد، مقدمة تحقيق شرح الزيادات للإمام قاضيخان، ١: ١٠٦.

مفقودة، ولم يبق بين أيدينا إلا كتاب الزيادات» الذي انتخبه الإمام صدر الدين سليمان من شرح قاضي خان، بل تلك النسخ التي ذكرها سزكين في كتابه ليست كلها هي كتاب الزيادات"[١].

المطلب الرابع: بيان موضوعات الكتاب:

كتاب "الزيادات" للإمام محمد بن الحسن الشيباني مر بمرحليتين تطورية، كما يلي:

١. مرحلة التأليف الأولي: قام الإمام محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ) بتأليف الكتاب، نظم المادة العلمية تحت عناوين رئيسية سمى كل منها "كتاباً"، بدأ التبويب بكتاب "المأذون" كما ذكر البابرتي في "العناية شرح الهداية"

٢. مرحلة إعادة الترتيب: قام الإمام الزعفراني بإعادة تنظيم الكتاب، أعاد ترتيب الأبواب الفقهية بشكل منهجي.

كتاب «الزيادات» يستوعب أبواباً كثيرة من أحكام الفقه الإسلامي، لكنه لا يغطي جميع الأبواب المعروفة في الكتب الفقهية، إذ يُعد بمثابة تكملة لكتاب «الجامع الكبير». كما تعرض لبعض أحكام المناسك والصلح والفرائض ضمن سياق مواضع أخرى، ووسع التوسع والتدقيق في مسائل بعض الكتب مثل: كتاب الأيمان، وكتاب البيوع، وكتاب الوصايا، وكتاب السير.

وينتظم كتاب «الزيادات» على ٢٤ كتاباً فقهياً تشتمل على ١٤٠ باباً، على النحو التالي:

كتاب الطهارة كتاب الصلاة – كتاب الزكاة – كتاب الأيمان.

كتاب النكاح – كتاب الطلاق – كتاب العتاق – كتاب البيوع.

كتاب الشفعة – كتاب الرهن – كتاب الهبة – كتاب الوكالة.

كتاب الشهادات – كتاب الدعوى – كتاب الإقرار – كتاب الغصب.

كتاب الجنايات – كتاب الوصايا – كتاب الكفالة – كتاب الحوالة.

كتاب المأذون – كتاب المكاتَب – كتاب السير – كتاب الصيد.

يتضح من ذلك أن كتاب «الزيادات» يركز بشكل كبير على أبواب المعاملات الشرعية، وهي أبواب ذات مسائل كثيرة. ومتشعبة نظراً لتعلقها بحياة الإنسان المعيشية وتعاملاته مع الآخرين[٢].

المطلب الخامس: منهج الشيباني في عرض المسائل في كتاب الزيادات:

لا يحتوي كتاب الزيادات على مقدمة توضح المنهج الذي اتبعه المؤلف ولاتوجد نسخة يفهم منها، إلا أن الملاحظ مما سبق أن كتاب الزيادات تكملة لكتاب الجامع الكبير فالمنهج الذي اتبعه الإمام محمد بن الحسن الشيباني في الزيادات مطابق تماما لمنهجه في الجامع الكبير.

---

(١) محمد أنس أبوالسعود أتماز السباعي، ١٤٤٤هـ – ٢٠٢٣، مقدمة تحقيق كتاب"منتخب الزيادات للأذرعي"، الطبعة الأولى، تركيا: دار السمان للدرسات وتحقيق التراث، ص: ٦٩.

(٢) الدكتور قاسم أشرف نور أحمد، مقدمة تحقيق شرح الزيادات للإمام قاضيخان، ١: ١٠٦.

يقول الدكتور قاسم أشرف[١]: "يتضح مما سبق أن كتاب الزيادات تكملة للجامع الكبير، فالمنهج الذي سار عليه الإمام محمد في "الزيادات" يطابق تماما منهجه في الجامع الكبير، فأسلوبه فيه محكم رصين يغلب عليه طابع الدقة والصعوبة لانطوائه على فروق فقهية دقيقة وعلل خفية، فهو يذكر المسائل في عبارات دقيقة جامعة دون ذكر للأدلة وأعظم مثال على دقة أسلوبه في الكتاب: "الأيمان". يقول الأمام السرخسي رحمه الله: من أراد امتحان المتبحرين في الفقه، فعليه بأيمان الجامع. وذلك دأبه في أيمان الزيادات أيضًا من حيث تضلعه ورسوخه التام في الفقه والأصول وقواعد اللغة.

وهو يمثّل الفروع الفقهية بدون توجيه أو تعليق للمسائل، ولكن القارئ الملم بالفقه يدرك ذلك بالنظر في ثنايا المسائل، لأنها لم تدون إلا بعد المداولة واقتناع كل بما يذهب إليه، بناء على الدليل، فإنها خلاصة الجهود وثمرتها.

وأسلوبه في الكتاب لا يخلو عما يسمى بالفقه التقديري، ويقصد به الفتوى في مسائل لم تقع ويفرض وقوعها وكان هذا المنهج متبعا في زمنه لتدوين المسائل بإيراد الصور مفروضة الوقوع لا واقعة نازلة وتفريع الصورة من الصورة، والاجتهاد في تقرير الحكم الشرعي المنطبق على كل صورة من تلك الصور المفروضة المتسلسلة على النحو الذي تؤلف عليه القوانين الآن، وقد أعطى التدوين الفقهي صورة جديدة من البسط تتمثل في استيعاب المسائل بطريقة افتراض، بعد أن كان يقتصر فيها على النوازل الواقعة.

وقد كثر هذا النوع من الفقه لدى الفقهاء، لأنهم يحاولون بذلك استخراج العلل للأحكام الثابتة بالكتاب والسنة، يوجهونها فيضطرون إلى فرض وقائع لكي يسيروا بما اقتبسوا من علل للأحكام في مسارها واتجاهها فيوضحوها بتطبيقها على وقائع مفروضة لم توجد.

وكذلك اعتنى الإمام محمد رحمه الله في كتابه عناية فائقة بمسائل حسابية، وكان هذا أسلوب الفقهاء المتمرسين بمسائل الميراث والوصية، فأفاض في تفريع المسائل بناء على أصول الحساب.

كما أنه يكثر بمسائل وتفريعات تتعلق بالرقيق خصوصا بالمكاتب، وما ذلك إلا تعبير عن مدى تجاوبه مع ملابسات الزمن، ومقتضياته لفشو تجارة الرقيق ونفاق سوقها في ذلك الزمن، ومعالجة لكافة جوانب هذا الموضوع ليقدم حلولا واقعية لمسائل وقته. وفي الوقت نفسه يعتبر ذلك مجرد مثال لعدة تداولات تجارية، وتنطبق عليها أحكام معاملات كثيرة متداولة في عصرنا هذا، فلا غنى عن هذه المسائل".

المبحث الثالث: "الخدمات العلمية لكتاب الزيادات" يتناول هذا المبحث أهم الجهود العلمية التي بُذلت حول كتاب الزيادات، من حيث ترتيبه واختصاره، ومن حيث شروحه المطبوعة والمخطوطة، وذلك في ثلاثة مطالب: المطلب الأول: ترتيبات واختصارات كتاب الزيادات، المطلب الثاني: الشروح غير المطبوعة على كتاب الزيادات، المطلب الثالث: الشروح المطبوعة على كتاب الزيادات.

(١) الدكتور قاسم أشرف نور أحمد، مقدمة تحقيق شرح الزيادات للإمام قاضيخان، ١: ١٠٣– ١٠٥.

المطلب الأول: ترتيبات واختصارات كتاب الزيادات:

١. الترتيب والتنظيم:

قام الإمام الزعفراني بترتيب الكتاب وإخراجه بالصورة التي بين أيدينا، فجمعه في أربعةٍ وعشرين كتاباً تشتمل على مئةٍ وأربعين باباً كما مر منا. هذا الترتيب أسهم في تسهيل تناول موضوعاته، وربطها بما ورد في كتب ظاهر الرواية الأخرى.

٢. الاختصار والتهذيب:

عمد بعض الفقهاء إلى اختصار الكتاب أو تهذيب مسائله لتيسير تداوله بين الطلبة، مع المحافظة على جوهر المسائل الفقهية التي أوردها الإمام محمد، يقول حاجي خليفة:

"واختصره: الحاكم، الشهيد، وهو مختصر: (أصول الزيادات)، وذكر ابن نجيم، في كتاب (الدعوة من البحر الرائق) : أن له شرحا على كتاب (الزيادات) ، والله أعلم"[١].

المطلب الثاني: الشروح غير المطبوعة على كتاب الزيادات:

نظرا لأهمية كتاب الزيادات، ومكانته المرموقة في المذهب اهتم كبار الفقهاء بشرحه وبيان مسائله وتوضيح وجوه الاستنباط فيها، حيث بسطوا القول في شرحها وتعليلها وربطها بالأصول، و من هؤلاء العلماء الذين قاموا بشرح هذا الكتاب:

شرح الزيادات للعتابي:

شرح كتاب الزيادات للإمام العلّامة الزاهد أحمد بن محمد بن عمر العتابي، الملقب بـ زاهد الدين، وهو منسوب إلى محلة عتابية بمدينة بخارى. عُرف العتابي بزهده وتبحّره في العلوم الشرعية، وكان من أوحد أهل عصره علماً ودقة.

من أهم مؤلفاته: شرح الزيادات رواه عنه جماعة؛ منهم الإمام حافظ الدين، وشمس الأئمة الكردي، وغيرهما، وشرح الجامع الكبير، وشرح الجامع الصغير، والفتاوى العتابية، بالإضافة إلى تفسير للقرآن الكريم. وقد توفي رحمه الله سنة ٥٨٦ هـ[٢].

وقد أثنى العلماء على شرحه للزيادات؛ قالوا: "دقق فيه وحقق وأبدع ما لا يوجد في غيره"[٣] فقال اللكنوي: "قد طالعت من تصانيفه شرح الزيادات وانتفعت به وهو مختصر ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل. [٤] أما العلماء الذين رووا شرحه فمنهم: حافظ الدين النسفي وشمس الأئمة الكردري"[٥].

---

(١) حاجي خليفة ،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ٢: ٩٦٢.

(٢) أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني) الجمالي الحنفي، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م، تاج التراجم، الطبعة الأولى، دمشق: دار القلم، ص: ١٠٣.

(٣) أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي ، ١٣٢٤ هـ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، الطبعة الأولى، مصر: مطبعة دار السعادة، ص: ٣٦.

(٤) الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ص: ٣٦.

(٥) تقي الدين بن عبدالقادر التميمي الداري، ١٤٠٣هـ، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، الطبعة الأولى، رياض: دار الرفاعي للنشر والتوزيع، ٢: ٧٢.

اتسم شرح العتابي بأنه وجيز العبارة، مليء بالنكات الفقهية والإشارات الدقيقة، حيث اجتهد في تبسيط ما تعقّد من مسائل الكتاب، واختصر ما كان سهلاً منها. كما تميز بلمحة علمية مهمة، إذ تناول في باب الوصايا بعض المسائل الحسابية، موضحاً طرق الجبر والمقابلة، وطرق الخطأين، ومسائل الدينار والدرهم، وغير ذلك من الطرق الحسابية، ليسهّل على طلاب العلم فهمها[١].

وقد افتتح كتابه بقوله: "الحمد لله الذي يكفي كل شيء ولا يكفي منه شيء..." ثم قال بعد الخطبة: " الحمد لله الذي كفى كل شيء، ولا كفى منه شيء ..."

قال: "لما رأيت في أهل الزمن زمانة في اقتباس العلم، ولاختصار هممهم، اختاروا المختصر من كل شيء، حملني ذلك: أن أكتب: شرح الزيادات، موجز العبارات والنكات. وأجتهد في بسط ما صعب منها، وأذكر في أبواب الوصايا ما يتعلق بالحساب من طرق الكتاب سائر الطرق، من: طريق الجبر، والمقابلة، والدينار، والدرهم، والسطوح، والخطاءين، حتى يكون أجمل وأسهل"[٢].

وقد انتشرت نسخ هذا الشرح في عدد من مكتبات العالم، ومن بينها نسخة محفوظة في مكتبة حلب، توجد منها صور متداولة بين الباحثين.

شرح الزيادات للكردري:

هو شمس الأئمة، تاج الدين، أبو المفاخر، عبد الغفور بن لقمان بن محمد الكردري (ت ٥٦٢هـ)، إمام الحنفية في عصره. تفقه على أبي الفضل عبد الرحمن بن محمد الكرماني، تولى قضاء حلب في عهد السلطان نور الدين محمود بن زنكي، كان يلقب بـ شمس الأئمة، صنف كتبا عديدة منها: شرح الزيادات لمحمد بن الحسن، شرح الجامع الصغير و شرح الجامع الكبير، وقد سلك فيهما منهج التأصيل والتفريع. شرح التجريد، كتاب في أصول الفقه، حيرة الفقهاء: جمع فيه المسائل المشكلة التي يتحير في حلها العلماء، توفي بحلب سنة ٥٦٢هـ.[٣]

شرح الزيادات لشمس الأئمة الحلواني:

هو عبد العزيز بن أحمد بن نصر بن صالح الحلواني، الملقب بشمس الأئمة، أحد أعيان أئمة الحنفية، وإمام أصحاب أبي حنيفة في عصره. كان مرجعًا للفتيا والتدريس، وله تلامذة كُثر، شرحَ كتاب الزيادات، وقد أحال إليه غير واحد من المصنفين، منهم قاضي خان في كتاب الهبة. توفي سنة ٤٤٩ هـ[٤].

(١) الدكتور قاسم أشرف نور أحمد، مقدمة تحقيق شرح الزيادات للإمام قاضيخان، ١: ١٠٩.

(٢) حاجي خليفة ،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ٢: ٩٦٢.

(٣) الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ٩٧.

(٤) الدكتور قاسم أشرف نور أحمد، مقدمة تحقيق شرح الزيادات للإمام قاضيخان، ١: ١١١. و حاجي خليفة ،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ٢: ٩٦٢.

شرح الزيادات لبرهان الدين ابن مازه:

برهان الدين أبو المعالى محمود بن الصدر السعيد تَاج الَين احمد بن برهان الدين عبد العزيز بن عمر البخاري الحنفي المعروف بِابْن مازه. كان من كبار أئمة الحنفية وأعيان الفقهاء، إمامًا ورعًا، متواضعًا، مجتهدًا، واسع العلم، غزير الفضل. نشأ في بيت علم وديانة؛ فأبوه وجده وجد أبيه كلهم كانوا من صدور العلماء، كما أن عمه الصدر الشهيد عمر كان من كبار فقهاء المذهب.

من أبرز مؤلفاته: المحيط البرهاني، الذخيرة، التجريد، تتمة الفتاوى، شرح الجامع الصغير، شرح الزيادات، شرح أدب القضاء للخصاف، فضلًا عن الفتاوى والواقعات والطريقة البرهانية وغيرها[١].

شرح الزيادات للإمام السرخسي:

هو شمس الأئمة محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت ٤٨٣هـ تقريبًا)، أحد كبار فقهاء الحنفية ومصنّف المبسوط[٢]، أحال في مواضع عديدة من المبسوط إلى شرحه على الزيادات، كما أشار إليه أيضًا في كتابه النكت على زيادات الزيادات، قال في النكت:

"والثابت بالضرورة يتقدر بقدر الضرورة فإذا لم يتحقق الضرورة في إثبات حقيقة الملك لم يثبت فلا يعتق عليه وهو نظير ما أمليناه في شرح الزيادات"[٣].

شرح الزيادات لأبي حفص الغزنوي:

هو عمر بن إسحاق بن أحمد أبو حفص سراج الدين الهندي الغزنوي، أحد كبار علماء الحنفية، وصفه المؤرخون بأنه إمام علامة، نظار، فارس في البحث، مفرط الذكاء، له تصانيف انتشرت في الآفاق، منها: شرح الهداية المسمى بالتوشيح، والشامل في الفقه، وزبدة الأحكام في اختلاف الأئمة الأعلام، وشرح بديع الصول، وشرح المغني، والغرة المنيفة في ترجيح مذهب أبي حنيفة. كما ألّف شرح الزيادات وشرح الجامعين (ولم يتمهما). وتوفي سنة ٧٧٣هـ[٤].

---

(١) إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، ١٩٥١م، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (د.ط) طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، ٢ :٤٠٤.

(٢) الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ص: ١٥٨–١٥٩.

(٣) النكت للإمام شمس الأئمة السرخسي، ص: ١٢٠.

(٤) عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي،١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، الطبعة الأولى، بيروت لبنان: دار ابن حزم، ٢: ١٨١. وخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، أيار / مايو ٢٠٠٢ م، الأعلام، الطبعة: الخامسة عشر، دار العلم للملايين، ٥: ٤٢. و أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م، رفع الإصر عن قضاة مصر، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الخانجي، ص: ٢٨٨.

شرح الزيادات لأبي عبد الله الجرجاني:

هو يوسف بن محمد الجرجاني، تلميذ الإمام أبي الحسن الكرخي. كان من أهل الفقه والتدريس، وله شرح على الزيادات، قال اللكنوي: "وكان عالماً يرحل إليه في الواقعات وله خزانة الأكمل في ست مجلدات وشرح الزيادات وشرح الجامع الكبير ومختصر كتاب الكرخي"[١].

المطلب الثالث: الشروح المطبوعة على كتاب الزيادات:

على الرغم من المكانة العلمية الرفيعة التي يتمتع بها كتاب الزيادات، وما ناله من عناية العلماء بكتابة شروح متعددة عليه، إلا أنه مما يؤسَف له أن هذه الجهود الكبيرة لم ترَ النور بطريق الطباعة، وأن الشرح الوحيد الذي طُبع من بين تلك الشروح هو شرح فخر الدين، حسن بن منصور بن أبي القاسم محمود بن عبد العزيز، المعروف بقاضي خان الأوزجندي الفرغاني (ت ٥٩٢ هـ)، مع ما في ذلك من دلالة على الحاجة الملحة إلى تحقيق ونشر بقية الشروح خدمةً للتراث الفقهي الحنفي.

يُعَدّ شرح الزيادات للإمام قاضي خان من أنفس وأقوم الشروح التي وُضعت على الكتاب، حيث بذل فيه الإمام جهدًا بارعًا في التحقيق والتدقيق، من خلال تقصّي الشواهد والنظائر الفقهية المتصلة بمسائل المتن. وبوصفه مجتهدًا في المسائل، فقد أحسن قاضي خان ردَّ الفروع إلى أصولها وأدلتها وقواعدها القياسية، واستخرج القواعد الكلية من المسائل الجزئية المتناثرة، وصاغها في قوالب ضابطة وقواعد فقهية محكمة.

وتبدو بوضوح في هذا الشرح براعةُ الإمام قاضي خان، ورسوخُ قدمه في الفقه والاجتهاد، مع دقة الاستنباط وعلوّ الذوق العلمي، حتى أصبح شرحه مرآةً صافية لمنهجه الفقهي.

أما الخصيصة البارزة التي تميّز هذا الشرح وتزيد من قيمته العلمية، فهي أنّ الإمام قاضي خان سلك فيه مسلك التأصيل والتقعيد؛ والمقصود بالتأصيل: تمهيد القواعد الكلية والضوابط العامة أولًا، ثم التفريع عليها ثانيًا. وبذلك جمع بين استحضار الأصول واستثمارها في التفريع على الجزئيات، مما جعل شرحه هذا من أهم ما صنف في بابه، وأغزرها مادة، وأقواها بناءً وتأصيلًا[٢].

قد حظي هذا الشرح بميزة خاصة تمثّلت في إخراجه إلى النور بتحقيق علمي رصين، وقام به الباحث الدكتور قاسم أشرف نور أحمد وكان هذا العمل أصلاً رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه من كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، حيث تناول التحقيق النص كاملًا، مع دراسة دقيقة لمنهجه ومصادره ومكانته بين كتب الفقه الحنفي. وقد صدر هذا الشرح مطبوعًا عن المجلس العلمي بمدينة كراتشي – باكستان سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، فكان بذلك أول تحقيق علمي كامل يصل بالكتاب إلى أيدي الباحثين والدارسين، مما أتاح له موقعًا متميزًا في الدراسات الفقهية المعاصرة.

---

(١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ص: ٢٣١.

(٢) الدكتور قاسم أشرف نور أحمد، مقدمة تحقيق شرح الزيادات للإمام قاضيخان، ١: ١١٨.

الخاتمة:

بعد ما ذكرنا ما يتعلق بكتاب الزيادات للإمام محمد بن الحسن الشيباني من حيث تصنيفه، وأسلوبه، ومكانة هذا الكتاب بين كتب الفقه الحنفي، والخدمات العلمية التي نال بها مدى العصور، يستبين لنا أن هذا الكتاب يُعدّ حجرا أساسيا في بناء الفقه الإسلامي، وركن أصيل من أركان الصرح الفقهي، جمع هذا الكتاب بين وضوح العبارة وكثرة الفروع وعمق الفهم، فمن حين ألف صار مصدراً مهماً للفقها.

لقد أوضح البحث أن كتاب "الزيادات" لم يخلُ في أي عصر من عناية العلماء؛ إذ العلماء انشغلوا بشرحه وتلخيصه والتعليق عليه، ثم جاءت الجهود الحديثة لتضيف إليه بتحقيق بعض شروحه، كشرح قاضي خان. ومع ذلك كله، ما زال شروح الكتاب تنتظر خدمة علمية متكاملة.

النتائج:

١. كتاب الزيادات جزء من كتب ظاهر الرواية، ويُعَدّ مكمِّلًا للجامع الكبير.

٢. منهج الإمام الشيباني في الكتاب يقوم على الدقة والاختصار في العبارة، والاعتماد على الفقه الافتراضي كمنهج للتدريب والاستنباط.

٣. يشتمل الكتاب على ٢٤ كتابًا فقهيًا يتوزع على ١٤٠ بابًا، يغلب عليها أبواب المعاملات، مما يكشف عن اهتمام المؤلف بالجانب العملي من حياة الناس.

٤. لا توجد نسخ للمتن الأصلي من الزيادات اليوم، وإنما المتداول شروح ومنتخبات نسبت خطأً إلى المتن في بعض الفهارس.

٥. كثرة الشروح التي أُلفت على الكتاب (كشرح العتابي، وابن مازه، والكردري، والحلواني، وقاضي خان) دليل على مكانته المركزية في الدرس الحنفي.

٦. شرح قاضي خان هو الشرح الوحيد الذي حظي بالطباعة الكاملة، ويعدّ من أنفس الشروح لما تميز به من دقة وتقعيد وتأصيل فقهي رفيع.

٧. الجهود العلمية الحديثة اقتصرت غالبًا على التحقيق الجزئي لبعض الشروح، والمخصرات كمختصر لصدر الدين الأذعي، وما زالت الحاجة قائمة لتحقيق شامل يخدم هذا التراث العظيم.

التوصيات:

١- تحقيق شروح الزيادات المخطوطة (إن وجدت).

٢- دراسات مقارنة بين الزيادات وبقية كتب ظاهر الرواية (الأصل، المبسوط، الجامع الكبير، الجامع الصغير، السير الكبير)

٣- استخراج القواعد الفقهية والضوابط الكلية من كتاب منتخب "الزيادات" وبقية "كتب ظاهر الرواية"، ودراستها في أبحاث مستقلة.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم .

١. ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المصري، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، (د. ط)، دار الكتاب الإسلامي،(د. ت).

٢. ابن نجيم، سراج الدين عمر بن إبراهيم الحنفي، النهر الفائق شرح كنز الدقائق، الطبعة: الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٣. الأحمد نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول، «دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون»، الطبعة: الأولى، بيروت لبنان: دارلكتب الكتب العلمية، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٤. الأفغاني، أبو الوفا ، مقدمة الجامع الكبير، الطبعة الأولى، مكتبة الاستقامة، ١٣٥٦هـ.

٥. الأفغاني، أبوالوفاء، مقدمة النكت للإمام شمس الأئمة السرخسي، الطبعة الأولى، بيروت لبنان: عالم الكتب،١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٦. البابانی البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم ، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (د.ط) طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان،١٩٥١م.

٧. البابرتي، محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي، العناية شرح الهداية، (د. ط) بيروت: دارالفكر، (د. ت).

٨. البخاري، أبو المعالي برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ الحنفي، المحيط البرهاني في الفقه النعماني، الطبعة: الأولى، بيروت دار الكتب العلمية،١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

٩. البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي، التعريفات الفقهية، الطبعة: الأولى، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

١٠. التميمي، تقي الدين بن عبدالقادر الداري، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، الطبعة الأولى، رياض: دار الرفاعي للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ.

١١. التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، الطبعة الأولى، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون،١٩٩٦.

١٢. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، الطبعة: الأولى، بيروت لبنان: دارالكتب العلمية، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م

١٣. الحسني، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الطالبي، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، الطبعة الأولى، بيروت لبنان: دار ابن حزم، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م.

١٤. الحموي، أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (د.ط)، بيروت: المكتبة العلمية، ٨ ذو الحجة ١٤٣١.

١٥. الخليلي، الدكتور لؤي بن عبدالرؤوف ، لآلي المحار في تخريج مصادر ابن عابدين في حاشيته رد المحتار، (د.ط)، دار الفتح للدرسات والنشر(د.ت).

١٦. د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، معجم اللغة العربية المعاصرة، الطبعة: الأولى، بيروت: عالم الكتب، ٢: ٩٦٣.
١٧. الدكتور فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي لسزكين – العلوم الشرعية، (د. ط) نقله إلى العربية: د محمود فهمي حجازي، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.
١٨. الدكتور قاسم أشرف نور أحمد، مقدمة تحقيق شرح الزيادات للإمام قاضيخان، الطبعة الأولى، بيروت لبنان: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
١٩. الدكتور محمَّد بوينوكالن، مقدمة كتاب الأصل (المبسوط)، طبعة: الأولى، بيروت لبنان: دار ابن حزم، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.
٢٠. الدمشقي، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الحنفي، شرح عقود رسم المفتي، الطبعة الأولى، باكستان: المكتبة البشرى، ٢٠٠٩م.
٢١. الدمشقي،ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الحنفي، رد المحتار، الطبعة: الثانية، بيروت: دار الفكر، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
٢٢. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز ، مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، الطبعة الثالثة، الهند حيدر آباد الدكن: لجنة إحياء المعارف النعمانية، ١٤٠٨ هـ.
٢٣. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، الطبعة: الخامسة عشر، دار العلم للملايين، أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
٢٤. السباعي، محمد أنس أبوالسعود أتماز، مقدمة تحقيق كتاب"منتخب الزيادات للأذرعي"، الطبعة الأولى، تركيا: دار السمان للدرسات وتحقيق التراث،١٤٤٤هـ – ٢٠٢٣.
٢٥. السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة ، شرح الجامع الصغير، الطبعة الثانية، تركيا، نشريات وقف الديانة التركي، ٢٠٢١م– ١٤٤٣هـ.
٢٦. السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة ، شرح السير الكبير، (د.ط) بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، (د. تا).
٢٧. السودوني الجمالي، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا الحنفي، تاج التراجم، الطبعة الأولى، دمشق: دار القلم، ١٤١٣ هـ –١٩٩٢م.
٢٨. الشيباني، محمد بن الحسن، الأصل (المبسوط)، طبعة: الأولى، بيروت لبنان: دار ابن حزم، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.
٢٩. الطحطاوي، أحمد بن محمد بن إسماعيل الحنفي، حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، الطبعة الأولى، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
٣٠. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، رفع الإصر عن قضاة مصر، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.
٣١. العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين ، البناية شرح الهداية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
٣٢. قاضي زاده أفندي، شمس الدين، أحمد بن قودر، نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار وهو: تكملة «فتح القدير، شرح الهداية، (د.ط)،يروت: دار الفكر، (د.ت) .

٣٣. الكاساني، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الحنفي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الطبعة: الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
٣٤. الكفوي، أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات، (د.ط) بيروت: مؤسسة الرسالة (د.ت).
٣٥. الكوثوي، محمد زاهد بن حسن، بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني، (د. ط)، مصر: المكتبة الأزهرية للتراث، (د.ت).
٣٦. الأتقاني، قوام الدين بن أمير كاتب بن أمير عمر، غاية البيان، الطبعة الأولى، الكويت: دار الضياء للنشر والتوزيع،(د.ت).
٣٧. اللكنوي، أبو الحسنات محمد عبد الحي الهندي ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، الطبعة الأولى، مصر: مطبعة دار السعادة، ١٣٢٤ هـ.
٣٨. المرعشلي، أستاد الدكتور يوسف عبدالرحمن ، مصادر الدراسات الإسلامية القسم الثالث الفقه الحنفي أصولا وفروعا، (د. ط) باكستان بشاور: المكتبة الحقانية، (د. ت).
٣٩. مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، ١٩٤١ م، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (د.ط) بغداد: مكتبة المثنى، ٢: ١٢٨٢.
٤٠. الندوي، الدكتور علي أحمد، الإمام محمد بن الحسن الشيباني نابغة الفقه الإسلامي، الطبعة الأولى، دمش: دار الفكر،١٤١٤ هـ.